المصطلح الصوتي الصّرفي في الدّراسات العربية التّراثية–الإبدال والإدغام أنموذجا

Term Phonetic Morphological In Old Stydies Arabic- Transposition; Insertingmodel

عويشة إمكراز

جامعة الجزائر 2 بوزريعة، الجزائر، الإيميل المهني: imekraz.aouicha@cu-tipaza.dz

تاريخ الارسال 07 / 05 / 2020	تاريخ القبول 02 / 03 / 2021	تاريخ النشر 15 / 04 / 2021

الملخص

يتناول هذا المقال بعض المصطلحات الصوتية الصرفية التي تضّمنتها المصنّفات العربية القديمة وتوصلنا من خلال استنطاقنا للنّصوص التراثية. وحاولنا في هذا المقام تسليط الضوء على جهود القدماء أمثال الخليل وتلميذه سيبويه، ومن حذا حذوهم كالمبرد، وابن السراج، وابن جني... الذين قدّموا لنا فكرة واضحة عن النظام الصوتي والصرفي للغة العربية من خلال دراستهم لها دراسة وصفية آنية سعيا منهم إلى بناء نظرية لغوية متكاملة خاصّة باللغة العربية.

فدراسة العرب القدماء للأصوات لم تكن مستقلة مقصودة لذاتها، وإنما من أجل تفسير وتحليل ظواهر أخرى مرتبطة بالصرف والنحو وغيرها من الظواهر اللغوية . ومن بين هذه الظواهر الصوتية الصرفية نجد: الإبدال، الإدغام، الإعلال، القلب، الحذف،

Abstract

This articl cavers sone of the vocabulary terms included in the old Arab works which we reached thought interro gating the heritage texts and we tried in this cours to the light on the efforts of the ancients such as El khalil and his student sibweh and those who followed their example as the El mobred, Ibnsarraj and Ibnginni who gave use a clear idea of the phone and morphological system of the Arabic language through their studies it has an the spot dexriptive study inan attempt to build an integrated linguistic theory, specific to the Arabic language.

The ancient Arab study of phone mes not antended for its own sake, but rather for the purpose of interpreting and analyzing other phenomena related to morphology, grammar and other linguistic phenomena, we find the

transposition,de letion,inserting,fluctuating,the above.		النقل...إلخ.
Keywords: terminology phonetic; linguistic theary; phonetic phenomena; transposition; inserting.		كلمات مفتاحية: المصطلحات الصوتية؛ النظرية اللغوية؛ الظواهر الصوتية؛ الإبدال؛ الإدغام.

المؤلف المرسل: عويشة إمكراز، الإيميل: salihasalsabil12@gmail.com

مقدمة:

هناك مصطلحات صرفية خاصّة بالأسماء كالمذكر والمؤنث والممدود والمقصور، وهناك مصطلحات صرفية خاصّة بالأفعال كالناقص والمثال والأجوف واللفيف وما شابهها، وهناك مصطلحات مشتركة بين الفعل والاسم ويمكن أن نصطلح عليها تسمية المصطلحات الصّوتية الصّرفية، كالإبدال والإدغام والإعلال... الخ وهي تغيير يحدث في الأصوات لكل داخل بنية الكلمة.

1 -مصطلح الإبدال

1.1 الإبدال لغة:

يشترك الاسم مع الفعل في مصطلح " الإبدال" ومعناه :" البَدَلُ خَلْفٌ من شيء، والتبديل : التغيير، واستبدلت ثوبا مكان ثوب(...) ونحو ذلك المبادلة"[1].

" وبدل الشيء وبديله: بدّلت الشيء غيّرته، وإن لم تأت له ببدل، وأبدلته إذا أتيت ببدله[2]

" فالإبدال " في اللغة هو جعل شيء مكان شيء آخر، جاء في اللسان: " أبْدَلَ الشيء من الشيء وبدّله: اتخذه منه بدلاً، وأبدلت الشيء بغيره وبدّله الله من الخوف أمنا، وتبديل الشيء تغييره وإن لم تأت ببدل، واستبدل الشيء بغيره وتبدّله به إذا أخذه مكانه، والمبادلة: التبادل، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل الشيء آخر"[3]

ويضيف أبو البقاء الكفوي (ت 1094 هـ) في " الكليات" :" الإبدال هو رفع الشيء ووضع غيره مكانه، والتبديل قد يكون عبارة عن تغيير الشيء مع بقاء عينه، يقال: (بدلت الحلقة خاتما) إذا أدرتهما وسوّيْتَهُما"[4].

فالفعل (بدّل) مشتق من البدل ومعناه التغيير والتحويل، سواء وضعت بديلا له أم لا، أمّا أبدل فهو مشتق من الإبدال ويعني أيضا التغيير والتحويل، ولكن بشرط أن نضع بديلا له، وهذا هو المقصود من الدلالة اللغوية.

1. 2 الإبدال اصطلاحا

استخدم القدماء مصطلح" الإبدال" منذ زمن طويل مطلقين عليه مصطلحات منها: الإبدال، البدل، العوض، والتعاقب، والمضارعة.

ويعّد الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـ)أوّل من أشار إلى الإبدال [5] ومثّل له بـ:" الذّعاق والزّعاق"[6].

ثم ضبطت قواعده بدقة مع تلميذه سيبويه (ت 180 هـ)، والمبرّد (ت285 هـ)، حيث تعرّض سيبويه إلى مصطلح " الإبدال" في أكثر من موضع، وعقد له بابين، الباب الأول سمّاه "هذا باب حروف البدل" حصر فيه عدد حروف الإبدال وهي أحد عشر حرفا. ثمانية من حروف الزيادة وهي (الهمزة، الألف، الهاء، الياء، التاء، الميم، النون، الواو)، وثلاثة من غيرها وهي (الطاء، الدال، الجيم) [7]، والباب الثاني سمّاه "هذا باب ما تقلب فيه السين صادا في بعض اللغات"[8]

أمّا المبرد (ت 285 هـ) فقد تناول مصطلح " الإبدال" بالمفهوم نفسه الذي استخدمه سيبويه، فعقد للإبدال بابين سماهما :" هذا باب حروف البدل" [9]، وهذا" باب ما تقلب فيه السين صاداً وتركها على لفظها أجود"[10].

استخدم سيبويه(ت108هـ) مصطلح " البدل" للدلالة على مصطلح " الإبدال" في قوله:" اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء التحقيق، التخفيف ، والبدل"[11].

كما استخدم المبرد(ت 285 هـ) مصطلح " البدل" للدلالة على إقامة حرف مكان حرف آخر في قوله:" حروف البدل هي أحد عشر حرفا منها ثمانية من حروف الزوائد (...) وثلاثة من غيرها "[12].

ويقول ابن جني (ت 392هـ) " البدل" هو " أن يقام حرف مقام حرف، إمّا ضرورة وإمّا استحسانا وصنعة" [13]، ويضرب لذلك أمثلة نحو:" في ذئب: ذيب، وفي جؤنة: جونة"[14].

كما يقول أن " البدل" لا يبدل الحرف بحرف آخر ليس مخرجه، ولا مقارب له في المخرج [15]، ولا تغيّر فيه الحركات[16].

كما استخدم القدماء مصطلح" العوض" للدلالة على مصطلح" الإبدال"، يقول الخليل: " فأمّا قوله:" فموان" فإنّه جعل الواو بدلا من الذاهبة، فإنّ الذاهبة هي هاء و واو وهما إلى جنب الفاء، ودخلت الميم عوضا منهما"[17].

وما نستنتج من قول الخليل أنه استخدم مصطلح (بدل وعوض) للدلالة على إقامة الميم مكان الواو والهاء المحذوفتين من كلمة "فم".

كما استخدم الفراء(ت 207هـ) مصطلح " العوض" في قوله:" وأناس واحدهم إنسي وإن شئت جعلته إنسانا ثم جمعته أناس فتكون الياء عوضا من النون، والإنسان في الأصل أَنْسيَان؛ لأنّ العرب تصغّره أُنَيْسَان"[18].

واستخدم المبرد (ت 285هـ) مصطلح " العوض" في قوله:" والعوضُ في جميع هذا جائزٌ؛ لأنّك قد حذفت منه، تقول في منطلق إذا عوضت مُطَيْلِيق وفي مقتدر مُقَيْدِير"[19].

ويتعرض ابن جني إلى الفرق بين " البدل" و" العوض"، حيث يرى أن :" البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوّض منه، وإنّما يقع البدل في موضع المبدل منه والعوض لا يلزم فيه ذلك؛ ألا تراك تقول في الألف من " قام" إنها بدل من الواو التي هي عين الفعل، ولا تقول فيها : إنّها عوض منها(...)ن وتقول في العّوض: إنّ التّاء في عدَة وزِنَة عوض من فاء الفعل، ولا تقول: إنّها عوض منها (...)، فالبدل أهمّ تصرّفا من العوض. فكلّ عوض بدل، وليس كل بدل عوضا"[20].

و" الإبدال" عند ابن جني عمل يكون فيه :" الصوت من وجه واحد وجنس واحد" [21] وهو على ضربين:" أحدهما لابد منه، والآخر منه بدّ"[22].

والمقصود من هذا أنّ هناك علاقة بين المبدَل والمبدل منه، وقد لا تكون هذه العلاقة موجودة بين العوّض والمعوّض منه.

كما استخدم القدماء مصطلح" القلب" للدلالة على مصطلح " الإبدال"، فقد استخدمه سيبويه الذي عقد له بابا سمّاه:" هذا باب ما تقلب فيه السين صادا في بعض اللغات مثال ذلك:" صقت" و" صبقت"، حيث أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد وهي الصاد" [23]. بمعنى ليكون قبل القاف حرف مستعل فجيء بحرف مستعل يماثل استعلاء القاف وهو الصاد قصد تحقيق الانسجام بين أصوات الكلمة ليخف على اللسان إخراجها، لأنّه من الصعب الانتقال من الاستفال إلى الاستعلاء.

كما وظّف المبرد (ت 285هـ) مصطلح " القلب" للدلالة على الإبدال في قلب الهمزة واوًا، وفي هذا يقول:" تقول رداءَك وكساءَاك وغطاءَك، والقلب إلى الواو في هذا يجوز، وليس بجيد، وهو أحسن منه فيما إذا كانت همزته أصلا وذلك قولك: كساوانوغطاوان."[24]

وقد عبّر الميداني (ت 518هـ) هو الآخر عن مصطلح الإبدال بمصطلح القلب قائلا: "حروف العلة تلحقها ثلاثة أنواع من التغيير أحدهما القلب، وقد يقال: الإبدال بمعناه"[25]

إذ أن المقصود بالقلب لغة هو تحويل الشيء عن وجهه[26].

وما يلاحظ أن أغلب الدارسين يطلقون على مصطلح " الإبدال" مصطلح " القلب" وهذا ما يوضحه ابن السكيت (ت244 هـ) في كتابه " القلب والإبدال"[27] ، وهو يريد بهما الإبدال وحده.

كما أطلق القدماء مصطلح " التعاقب" للدلالة على مصطلح " الإبدال" ، فيسميه أبو علي الفارسي (ت377هـ) تارة إبدالا ويسميه التعاقب غير مرّة[28]، وكذا ابن فارس (ت 395هـ) يسميه الإبدال تارة والتعاقب تارة أخرى، يقول :"ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: مدحه ومدهه، وفَرَسٌ رفلٌ ورَفْنٌ، وهو كثير مشهور، قد ألّف فيه العلماء، فأما ما جاء في كتاب الله جلّ ثناؤه فقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء، 63] ، فاللام والرّاء يتعاقبان كما تقول : "فلق الصّبح وفرقه"[29].

ويسمي أبو علي الفارسي (ت377هـ) مصطلح " الإبدال" أيضا بمصطلح " المضارعة" ، حيث يقول :" ممّا يقوّي مضارعة الصّاد في (الصراط) بالزاي أنّهم وجدوا الشين مشبهة لما وقع بعده الدال ليتفقا في الجهر، وذلك نحو: (أزدق) في (الأشدق)... ويؤكّد هذه المضارعة أنّهم قالوا: (اجدَرؤوا) و(اجْدَمعُوا)، فأبدلوا من تاء الافتعال الدال"[30].

وبالمفهوم نفسه يسمى ابن يعيش (ت 643 هـ)مصطلح " الإبدال" المصطلح "المضارعة" في قوله:" فأما المضارعة في أن تنحو بالصّاد نحو الزّاي فتصير حرفا من مخرجه بين مخرج الصاد ومخرج الزاي، ولم يبدلوها زايا كالوجه الذي قبله محافظة على الإطباق لئلا يذهب لفظ الصّاد بالكلية(...) وهذا الإبدال ههنا من قبيل الإدغام؛ لأنّ فيه تقريبا للصوت بعضه من بعض"[31].

والذي نستخلصه من قول ابن يعيش أن مصطلح " الإبدال" قسمان: الإبدال اللاّئق بالإدغام والإبدال لغير الإدغام. والإبدال اللائق بالإدغام هو الذي يعرف بمصطلح "المضارعة".

فالظاهر أن " البدل" هو أن " يوقع حرف موقع حرف، وعلى ذلك عامّة البدل في كلامهم" [32]؛ أي استبدال حرف بحرف آخر في المكان نفسه، أمّا العوّض فهو استبدال حرف بآخر من غير أن يكون في الموضع نفسه.

والغرض من " الإبدال" هو دفع الثّقل، كما يقول الشريف الجرجاني(ت 816هـ):" الإبدال هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل".[33]

ومصطلح" الإبدال" ضرب من أضرب التصريف، يقول أبو الحسن حيدرة اليمني (ت 599هـ)" اعلم أن التصريف ينقسم إلى خمسة أضرب: زيادة وحذف، وحركة وسكون" [34]. وإذا كان التصريف يعني التغيير، فالإبدال هو ضرب من أضرب هذا التغيير.

تناول المحدثون مصطلح " الإبدال" في الحروف العربية باستعمال الآلات والأجهزة المخبرية الحديثة، ومن خلال ما توصلوا إليه في دراسة الأصوات أن " الإبدال" هو مصطلح صوتي، وهو أدخل في مباحث التطور الصوتي منه في مباحث التعامل الصوتي، إلاّ أنّ علاقته بالجانب التعاملي يمكن أن تكون ذات صلة بمنشئه فلعلّ الأسباب الداعية إلى انحراف نطق المتكلمين بصوت ما إلى صوت آخر هو تأثير هذا الصّوت بالأصوات الأخرى التي تليه أو تسبقه فيتحول إلى الصوت النظير المجهور أو النظير القريب من المخرج"[35].

وما نستخلصه من هذا القول أن ظاهرة " الإبدال" هي مصطلح صوتي، أي يعتري الأصوات، ولعل من بين الأسباب التي كانت من وراء هذه الظاهرة، التطور الصوتي لبعض الأصوات، وكذا انحراف من صوت إلى صوت آخر نتيجة تأثر صوت ما بأخر قبله أو بعده، ممّا يستدعي تحول هذا الصوت إلى صوت آخر قريب من مخرجه.

وهذا ما أكده إبراهيم أنيس حين ردّ أكثر صوّر " الإبدال" إلى نوع من التطور الصوتي الذي يدخل أحيانا في اختلاف اللهجات، فيقول" حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرّت على أنها من " الإبدال" حينا، أو من تباين اللهجات حينا آخر، لاشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي" [36]. وحتى سيبويه ردّ كثيرا من

صوّر " الإبدال" إلى اختلاف اللهجات في قوله:" وأمّا أناس من بني سعد فإنّهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنّها خفية، فأبدلوا من موضعها أبْيَن، وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون : تميميٌّ، وهذا عَلْجْ، يريدون علي"[37].

وقد أشار إلى هذا الخليل سابقا في قوله:" الذُعاق بمنزلة الزّعاق... سمعناه فلا ندري ألغةٌ هي أم لثغةٌ"[38].

وما نستنتجه من هذه الأقوال أن الأصوات إذا تقاربت مخارجها تكون أكثر عرضة لظاهرة " الإبدال".

وقد طلق المحدثون تسميات على مصطلح " الإبدال" منها مصطلح " المماثلة" أو " التماثل"(Assimilation)، غير أن هذا المصطلح بقي دون شرط، فأحيانا يشار به إلى الإبدال، وأحيانا يشار به إلى " الإدغام"، ولهذا حاول عبد الله بوخلخال استخدام المصطلح البديل شريطة أن تميزه إضافة تحدّده بدقة وهي" المماثلة أو التماثل الجزئي (Assimilation parteille)؛ لأنّ الإبدال تقريب بين الحرفين المتجاورين أو المخالفة بينهما في بعض الصّفات وليس في كلّها إلا أن أصبح إدغاما[39]".

وما نستخلصه أن العلماء القدماء قد وقفوا على حقيقة هذا المصطلح، وفي هذا يقول سيبويه:" هذا باب حروف البدل في غير أن تدغم حرفا في حرف وترفع لسانك من موضع واحد"[40]

وتبدو أثار هذه الحقيقة واضحة في قول المبرد إذ أنّه لم يخرج عن الفكرة التي جاء بها سيبويه في قوله:"وهذا البدل ليس ببدل إدغام الذي تقلب فيه الحروف ما بعدها".[41]

ومصطلح **المماثلة** هو "لون من التقريب بين الأصوات ليتمّ التجانس والتماثل ومن ذلك إبدال الصاد زايا خالصة في نحو: التصدير والفصد وأصدرت، فقالوا فيها: التزديروالفزد وأزدرت[42]

ويلحق" الإبدال" بعض الأصوات ليقرب بينهما مما يؤدي إلى نوع من التجانس والتماثل.

وتلتقي المصطلحات التي وظّفها المحدثون للدلالة على " الإبدال" مع مصطلحات القدماء غير أنّ المحدثين اشترطوا جملة من العلاقات التي يظهر الإبدال فيها[43].

- علاقة التماثل: وهو أن يتّحد الحرفان مخرجا وصفة (كالباءين والتاءين...)
- علاقة التجانس: وهو أن يتفق الحرفان مخرجا ويختلفا صفة (الدال والطاء).
- علاقة التقارب: وهو على أنواع:
  - أن يتقارب الحرفان مخرجا ويتحدا صفة كالحاء والهاء.
  - أن يتقارب الحرفان مخرجا وصفة كاللام والراء.
  - أن يتقارب الحرفان مخرجا ويتباعدا صفة كالدال والسين.
  - أن يتقارب الحرفان صفة و يتباعدا مخرجا كالشين والسين
- علاقة التباعد: وهو على أنواع:
  - أن يتباعد الحرفان مخرجا ويتحدا صفة كالنون والميم.
  - أن يتباعدا الحرفان مخرجا وصفة كالميم والضاد

كما وظّف المحدثون مصطلح " التناوب" للدلالة على مصطلح " الإبدال"، يقول الفاخري: "الإبدال أوالتناوب ، إلاّ أنّه(...) في الأصوات المتقاربة"[44].

ولكن هذا المصطلح" التناوب" شكّل نوعا من الفوضى الكلامية حسب رأي أحد المحدثين، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يحّل حرفا مكان حرف آخر، يقول: "أنّ العرب كانوا يقيمون صوتا مكان صوت، ولهذا صار من سنّتهم أن يتكلم الكلمة مرة بصوت وأخرى بصوت آخر، كان يقول (مدحه)، وقد يقول: (مَدَهه)، وفي هذا بعد عن الواقع الذي يرفض هذه الفوضى الكلامية، فالذي يقول: (مَدَحَهُ) لا يمكن أن يميل لسانه فيقول (مَدَهَهُ) والعكس"[45]

وهذا ما أشار إليه سابقا أبو علي الفارسي (ت 377هـ) وابن فارس (ت 395 هـ) مطلقين عليه مصطلح " التعاقب حيث يقول ابن فارس (ت 395 هـ) : "ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: مدحه ومدهه، وفرسٌ رفلٌ ورفنٌ، وهو كثير مشهور، قد ألّف فيه العلماء، فأما ما جاء في كتاب الله جلّ ثناؤه، فقوله جل ثناؤه: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء، 63]. فاللام والراء يتعاقبان، كما تقول :" فلق الصبح وفرقه"[46].

والمستخلص من أقوال المتقدمين أنه يوجد اختلاف في عدد حروف " الإبدال" ، فهي أحد عشر عند سيبويه (ت 180 هـ)[47]، وابي العباس المبرد (ت285 هـ)[48]، وأبي بكر بن السراج (ت 316 هـ)[49]، وأبي علي الفارسي (ت 377 هـ)[50]، وابن جني (ت 392هـ)[51]، ابن حيان الأندلسي (ت 745هـ)[52]، وثلاثة عشر عند الزمخشري (ت 538هـ)[53]

وأربعة عشر عند ابن الحاجب (ت 646هـ)[54]، وتسعة عند ابن مالك (ت 672هـ)[55]. ولكن مذهب أكثر العلماء هو تسعة أحرف جمعت في عبارة " هدأت موطيا". التي ذكرها ابن مالك في ألفيته، ويظهر هذا في قول الفكون (ت 1073هـ): (أنّ حروف الإبدال هي تسعة جمعها التركيب: " هدأت موطيا")[56].

2 -مصطلح الإدغام

2. 1.الإدغام لغة

ورد ذكر مصطلح " الإدغام" في معجم العين للخليل (ت 175 هـ) في قوله:" دغم" الدغم: كسر الأنف إلى باطنه هشمًا، تقول : دغمته دغما، والأدغم الأسود الأنف، والدّغمة : اسم من ادغامك حرفاً في حرف، وأدغمت الفرس اللّحام أدخلته في فيه. والأدغم: الدّيزجُ"[57].

وجاء في اللسان " دغم الغيث الأرض يدغمها وأدغمها، إذا غشيها وقهرها (...) والإدغام: إدخال حرف في حرف، يقال: أدغمت الحرف وأدغمته على افتعلته والإدغام: إدخال اللّجام في أفواه الدّواب ...قال الأزهري: " وادغام الحرف في الحرف في الحرف مأخوذ من هذا"[58].

إذن الإدغام لغة يراد به الإدخال والإيلاج، وهذا ما ذهب إليه عبد الكريم الفكون (ت 1073هـ): " الإدغام لغة هو الإدخال، أي إدخال الشيء، يقال أدغمت الثّياب في الوعاء، إذا أدخلتها فيه، ومنه حمار أدغم وهو ذو لونين بين الزرقة والخضرة فكأنّهما قد امتزجا"[59].

2. 2الإدغاماصطلاحا

ذهب العلماء القدماء إلى تحديد مفهوم مصطلح " الإدغام" بأنه" إدخال حرف في حرف، دون وجود حركة تفصل بينهما"[60]. أو هو أن يلتقي حرفان من جنس واحد، فتسكّن الأوّل منهما وتدغمه في الثاني؛ أي تدخله فيه، فيصير حرفا واحدا مشدّدا ينبو عنه اللسان نبوة واحدة، أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج، فتبدل الأوّل حرفا من جنس الآخر وتدغمه فيه فيصير حرفا واحداً[61].

ويعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل من استقرت لديه هذه التسمية في قوله " اعلم أنّ الرّاء في " اقشعرّ" و"اسبكرّ" هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى والتّشديد علامة الإدغام(...) فإن صيّرت الثنائي في مثل قَدْ وهَلْ و لَوْ اسمًا أدخلت عليه التشديد، فقلت: هذه لَوٌّ مكتوبة، وهذه قدٌّ حسنة الكتبة زدت واوًا على واو ودالاً على دال، ثم أدغمت وشدّدت، فالتّشديد علامة الإدغام، والحرف الثالث كقول أبي زيد الطائي:

" ليت شعري وأين مني ليت *** إنّ ليت وإن لوّا عناء

فشدّد لوًّا حين جعله اسماً"[62]

ويقول في موضع آخر:" وضربته فما اصْعَنْرَرَ، إذا استدار الوجع مكانه وتقبّض ولكنّهم يدغمون النون في الراء فيصير كأنّه: اصعرّرَ"[63]

والملاحظ من قول الخليل أنه استخدم عبارة يدغمون النون في الرّاء" للدلالة على دخول حرف في حرف دون وجود حركة تفصل بينهما، فيكون الحرف الأول ساكنا والثاني متحركا، فأدغمت النّون في الرّاء لأنّ صوتهما واحد وهما مجهوران.

وتحدّث سيبويه (ت180هـ) عن مصطلح " الإدغام" مقتفيا آثار شيخه في هذا المفهوم، حيث يقول :" الإدغام إنّما يدخل فيه الأول في الآخر، والآخر على حاله يقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد نحو قد تّركتك، ويكون الآخر على حاله" [64] ثم يضيف في موضع آخر:" الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر".[65]

وتبعه المبرد (ت 285هـ) في تحديد مصطلح " الإدغام" بقوله:" وحقّ الإدغام أن يدغم الأوّل في الثاني، ويحوّل على لفظه."[66] ومثّل لذلك بقوله:" اعلم أنّ الحرفين إذا كان لفظهما واحد فسكّن الأول منهما فهو مدغم في الثاني، وتأويل قولنا (مدغم) أنّه لا حركة تفصل بينهما، فإنّما يعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة؛ لأنّ المخرج واحد ولا فصل وذلك قولك:" قطّع وكسّر وكذلك محمّد ومعبّد، ولم يذهب بّكر ولم يقم مّعك فهذا معنى الإدغام"[67]

ويوضّح أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) دلالة " الإدغام" بقوله:" الإدغام أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة وذلك قولك: مُدَّ وفَرَّ وعَضَّ"[68]

ومن خلال هذه الأقوال يتبين لنا أن مصطلح " الإدغام" عند القدماء الأصل فيه أن يكون الحرف الأوّل المدغم ساكنا، والحرف الثاني المدغم فيه متحركا.

وحدّ ابن جني (ت 392 هـ) مصطلح " الإدغام" بقوله:" إنّ الإدغام المألوف المعتاد إنّما هو تقريب صوت من صوت"[69]، ويقول في موضع آخر:" إذ الإدغام لا يكون إلاّ بأن يسوّى بين لفظي الحرفين" [70] أو هو :" أن تخلّص الحرف إلى لفظ أخيه البتّة، فتدغمه فيه لا محالة"[71].

كما تعرّض أحمد الميداني (ت 518 هـ) لمصطلح" الإدغام" معتبراً إيّاه حكمًا من أحكام المضاعف في قوله:" إذا توالى المثلان لم يخل من ثلاثة أوجه، أحدها أن يكونا متحركين والثاني: أن يكون الأوّل ساكنًا والثاني متحرّكا، وحكم هذين أن يدغما مثل مَدَّ" [72].

إذن فالإدغام عند القدماء هو " رفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة، والوضع لهما موضعا واحدا"[73].

ولم يتوقف القدماء عند مصطلح " الإدغام" كظاهرة صوتية فقط، بل تطرقوا إلى التمييز بين مصطلحين اثنين هما : إدغام المثلين، وإدغام المتقاربين؛ أي الصورة التي ينتج عنها صوت مضعّف سواء من المثلَيْن أو المتقاربين، فإدغام المثلين يكون بين حرفين متماثلين هما في الأصل حرف واحد مكرّر وهما اللذان:"تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه كالميم بعد الميم"[74].

وهذا ما يؤكده الأخفش (ت 215 هـ) في قوله:" والمثلان يدغم أحدهما في صاحبه وإن شئت إذا تحرّكا جميعا أن تسكن الأوّل وتحرّك الآخر، وإذا سكّن الأوّل يكون الإدغام، وإن تحرّك الأوّل، وسكّن الآخر لم يكن الإدغام"[75]

أمّا إدغام المتقاربين[76] يكون بين الحروف التي هي من مخرج واحد أو من مخارج متقاربة حيث تحذف الحركة من الصوت الأوّل ويقلب الصوت الأوّل من مثل الثاني.

وقد أفاض ابن جني في هذه المفاهيم كثيرا جاعلاً الإدغام في الكلام على ضربين:

أحدهما: أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأوّل في الآخر، والأوّل من الحرفين في ذلك على ضربين: ساكن ومتحرّك [77]، فالمدغم السّاكن الأصل كطاء(قطّع) وكاف (سكّر) الأوليين. والمتحرّك نحو (شدّد) ولام(معتلّ)[78]

والآخر: أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوّغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه[79]. وذلك مثل (ودّ) في اللغة التميمية و(امّحى)، و(امّاز) و(اصبّر)، و(اثّاقل عنه) [80]. والمعنى الجامع لهذين الضربين هو: " تقريب الصوت من الصوت، ألا ترى أنّك في (قطّع) ونحوه قد أخفيت السّاكن الأوّل في الثاني حتى نبا اللسان فيهما نبوة واحدة، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأوّل لو لم تدغمه في الآخر؛ ألا ترى أنّك لو تكلّفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشّمت لها وقفة تمتاز من شدّة ممازجتها للثانية بها؛

كقول(قَطْطَع)، و(سَكْكَرَ)، وهذا إنّما تحكمه المشافهة به، فإن أنت أزلت تلك الوقفة والفترة على الأوّل خلطته بالثاني فكان قربه منه وإدغامه فيه أشدّ لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه"[81].

ومن هنا يتضّح أنّ العلماء القدماء جعلوا الحروف المدغمة على ضربين:

- الضرب الأوّل: الحروف التي تدغم في أمثالها، واصطلحوا عليه بالمدغم من المتماثلين.
- والضرب الثّاني: الحروف التي تدغم في مقاربها، واصطلحوا عليه بالمدغم من المتقاربين

وما توصل إليه القدماء أخذ به المحدثون العرب، فرأوا أنّ اللغة تميل إلى الإدغام على أساس اجتماع حرفين متماثلين، أو على أساس اجتماع حرفين مختلفين في الصفة ومتقاربين في المخرج، حيث يعتمد على المخرج اعتمادة واحدة فيخرج في الحقيقة حرفان وليس حرف واحد [82]، ممّا يجعل الإدغام ضربا من إخفاء الصّوت في صوت آخر لغرض التخفيف والاقتصاد في المجهود العضلي.[83]

والقدماء في أثناء تناولهم لمصطلح" الإدغام" استخدموا مصطلحات مقابلة له ك (البيان والإظهار)، وهي مصطلحات تشترك جميعا في الدّلالة على ترك الإدغام ، ومصطلح " البيان" وظّفه الخليل في قوله:" وأما الهمزتان فليس فيهما إدغام في مثل قولك:" قرأ أبوك، وأقرئ أباك؛ لأنك لا يجوز لك أن تقول قرأ أبوك فتحققهما فتصير كأنّك أدغمت ما يجوز فيه البيان؛ لأنّ المنفصلين يجوز فيهما البيان أبداً" [84]. فالمقصود من البيان ههنا إظهار الصوتين لا إدغامهما.

أمّا سيبويه فقابل مصطلح " الإدغام" بمصطلح " الإظهار" في قوله:" فالإظهار في الحروف التي من مخرج واحد وليست بأمثال سواء أحسن وهو في المختلفة المخارج أحسن لأنّها أشدّ تباعدا وكذلك الإظهار كلما تباعدت المخارج ازداد حسنا"[85].

فالإظهار هنا هو عكس الإدغام أو الإخفاء؛ أي نطق الصوتين وعدم إدغامهما ويبدو أن هذا المصطلح هو الذي لقي استخداما واسعا عند اللغويين المتأخرين للدلالة على إظهار الحرفين وترك الإدغام.

وقد أطلق بعض المحدثين [86] مصطلح " الإدغام" على مصطلح " المماثلة " أو " التماثل" (Assimilation) وهو "نزعة صوتين إلى التقارب في المخارج والصفات سواء تماثلا أو لم يتماثلا" [87] ويرى البعض الآخر أن هناك فرقا بين " الإدغام" بمفهوم القدماء، و" المماثلة" بمفهومها الحديث، فيقول:" المماثلة تدل على ظاهرة تعاملية تقرّب بين الأصوات المختلفة ويدل الإدغام على ظاهرة نطقية تدمج الأصوات المتماثلة ولا يلتقي المفهومان إلاّ في الحالة التي يصل فيها التقريب إلى التماثل إلاّ أنّهما يتشاركان في الهدف، وهو اجتناب الثّقل، وفي الاختصار أي في الاقتصاد"[88].

ويذهب عبد الله بوخلخال إلى أبعد من هذا في تحديد الفرق بين مصطلح " المماثلة الجزئية" (Assimilation partielle) و"المماثلة الكلّية " (Assimilation total).

ويقصد بالمصطلح الأوّل التقريب بين حرفين متجاورين أو المخالفة بينهما في بعض الصفات، وليس في كلّها، وإلاّ أصبح إدغاما. أمّا المماثلة التّامة فهي فناء حرف في حرف ثان، ويكون بإدغام المثلين المتطابقين مخرجا وصفة أو المتقاربين"[89].

بناء على ما تقدم فإنّ مصطلح " الإدغام" هو " مماثلة كلّية"، أمّا " المماثلة الجزئية" فهي مجرّد تماثل جزئي فمثلا "هل رأيت" إذا نطقت بسرعة يحدث الإدغام بين اللاّم والرّاء حيث يعتمد بهما على المخرج اعتمادة واحدة، وأمّا " ازدهر" فأصلها " ازتهر"، ولكن حدثت مماثلة فيما بين التاء والزاي بقلب التاء إلى مقابلها المجهور من غير أن تدغم حرفا في حرف وترفع لسانك من موضع واحد.

واقترح عبد الصبور شاهين مصطلح " المماثلة الإدغامية" [90] حتى يقف على التقريب بين الحرفين المتجاورين دون فناء أحدهما في الآخر (أي دون إدغام)، ومماثلة إدغامية يتأثر فيها الحرف بحرف مجاور له تأثراً يؤدي إلى فناء الصوت الأضعف في الصوت القوي.

وما نستنتجه في الأخير أن مصطلح " الإدغام" هو ضرب من الإخفاء الصوتي الناتج عن فناء صوت في صوت مجاور له ويبقى الإدغام عملية نطقية قائمة على :

– التّماثل، بأن يتحد الحرفان مخرجا وصفة.

– التّجانس، بأن يتحد الحرفان مخرجا ويختلفا صفة.

– التّقارب، بأن يتقارب المدغم بالمدغم فيه مخرجا أو صفة، أو مخرجا وصفة.

الخاتمة :

- من خلال اطلاعنا على أعمال التراث المصطلحي اكتشفنا العبقرية الفكرية التي يتميز بها العلماء القدماء، حيث ساهمت هذه العبقرية في تكوين الحركة المصطلحية المؤسسة على فهم اللغة وقوانينها، فكانت هذه الحركة الرائدة النواة الأولى لوضع المصطلحات اللغوية.
- والذي استقرأناه من تأصيل القدماء للمصطلحات اللغوية الصوتية والصرفية يبعث فينا مشاعر الفخر والاعتزاز، فتلك النتائج التي توصلوا إليها على قدر كبير من الدّقة تكاد تضاهي ماجدّ في الدراسات اللغوية الحديثة.
- ومن خلال ما لحظناه في الدراسات التراثية يتجلى لنا الدّور الرّائد للقدماء في تأسيس الدرس الصوتي من خلال تتبع المصطلح الصوتي ودوره في تأدية الظاهرة الصوتية أو الصرفية في النظام اللغوي، حيث أنّ الملاحظ للرصيد الاصطلاحي التراثي يدرك أن المصطلح الصوتي قد حظي بدرجة عالية من الدرس والاهتمام، ويبدو أنّ المصطلحات اللغوية المستعملة حاليا في اللغة العربية هي من نصيب علم الأصوات نظرا لما وجد من مصطلحات تؤدي دلالاتها في معظمها.
- وما يمكن أن نشيد به في هذا المقام هو ضرورة إحياء المصطلح التراثي وتوظيفه في الدراسة اللغوية الحديثة، مع ضرورة استغلال نتائج القدماء في ضوء مناهج الدرس الحديث، وهذا العمل من شأنه أن يشكل جسر وصل بين التراث والحديث.

---

[1]–الخليل: العين، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ج8، ص45.

[2]–أحمد بن فارس : مجمل اللغة : تح زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م ، مادة (بدل)

[3]–ابن منظور: لسان العرب، مادة (بدل)، دار صادر، بيروت 1375هـ–1956م، ج1، ص48

[4]-أبو البقاء الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ص31.

[5]-ينظر: الخليل، العين، ج1، ص95، وص168 وص235.

[6]- المصدر نفسه، ج1، ص148.

[7]-سيبويه: الكتاب، تح وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب ، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ-1983م ، ج4، ص237وص238.

[8]-المصدر نفسه، ج4، ص479.

[9]-المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، ج1، ص61.

[10]-المصدر نفسه، ج1، ص225.

[11]-سيبويه: الكتاب، ج1، ص541.

[12]-المبرد: المقتضب، ج1، ص61.

[13]- ابن جني: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م ، ج1، ص69.

[14]-المصدر نفسه، ج2، ص441.

[15]-ابن جني: خصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1952م، ج2، ص55.

[16]- ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج2، ص765.

[17]- الخليل: العين، تح مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج1، ص57.

[18]-الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1980م، ج2، ص269.

[19]-المبرد: المقتضب، ج2، ص249.

[20]-ابن جني: الخصائص، ج1، ص265.

[21]-ابن جني:سر صناعة الإعراب، ج2، ص585.

[22]-المصدر نفسه، ج2، ص665.

[23]-سيبويه: الكتاب، ج4، ص480.

[24]-المبرد: المقتضب، ج3، ص 39.

[25]- الميداني: نزهة الطرف في علم الصرف، تح وتعليق: السيد محمد عبد المقصود درويش، دار مندي الزناتي للطبع والنشر والتوزيع، طنطا، ط2، 1429هـ-2008م، ص31.

[26]-ينظر: ابن منظور: لسان العرب، باب لقاف مادة (قلب)، ص44.

[27]-ابن السكيت (ابو يوسف يعقوب): الإبدال، تح حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1978م، ص97.

[28]–أبو علي الفارسي: التكملة ، تح كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، ط2، دت، ص183,

[29]–ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، تح عمر الضباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م، ص133.

[30]– أبو الفارسي: الحجة للقراء السبعة ، تح بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، بيروت، ط1، 1984م، ج1، ص55.

[31]–ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي): شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، دت، ج10، ص53.

[32]–ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج2، ص765.

[33]–الشريف الجرجاني(علي بن مُحَمَّد): التعريفات ، تح وتعليق عبد الرحمان عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987م، ص11.

[34]– أبو الحسن حيدرة اليمني:كشف المشكل في النحو، تح يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص298.

[35]– عبد العزيز الصيّغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، بيروت، ط1، 2000م، ص230 وص231.

[36]– إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1966م، ص59.

[37]–سيبويه: الكتاب، ج4، ص182.

[38]– الخليل: العين، ج1، ص168.

[39]– ينظر: عبد الله بوخلخال: ظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب، مجلة الأدب، جامعة قسنطينة، الجزائر، العدد3،1996م، ص45.

[40]– سيبويه: الكتاب، ج4، ص237.

[41]– المبرد: المقتضب، ج1، ص61.

42– جيلالي بن يشو: الدرس الصوتي: المماثلة والمخالفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2007، ص 71

[43]– ينظر: صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين، ط1، 1960م، ص216 و217 .

[44]– صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص159.

[45]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[46]– ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، ص133.

[47]– ينظر: سيبويه: الكتاب، ج4، ص237.

[48]– ينظر: المبرد: المقتضب، ج1، ص61.

[49]– ينظر: أبو بكر بن السراج : الأصول في النحو ، تح عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، ج3، ص244.

[50]– ينظر: أبو علي الفارسي: التكملة، ص243.

[51]– ينظر: ابن جني: التصريف الملوكي، تح فخر الدين قباوة، دار الأوزاعي، الدوحة، ط2، 1988م، ص28.

[52]– ينظر: أبو حيان الأندلسي: المبدع الملّخص من الممتع من علم الصّرف، تح وتعليق: مصطفى أحمد خليل النحاس، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الجيزة للنشر والتوزيع، ص84.

[53]-ينظر: الزمخشري: المفصل في علم العربية، قدم له وراجعه عز الدين السعيدي، دار إحياء العلوم بيروت، لبنان، 190م، ص360.

[54]-ينظر: الرضي الاستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تح مُحَمَّد الزفزاف وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة، 1358 هـ، ج3، ص136.

[55]- ينظر: ابن مالك: شرح الكافية الشافية، تح: علي مُحَمَّد معوض وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ج2، ص 367.

[56]- ينظر: الفكون: فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف، ص256.

[57]- الخليل: العين: مادة (دغم) ، ج4، ص395.

[58]- ابن منظور: لسان العرب، باب الدال، مادة (دغم)، ص262 وص 263.

[59]- عبد الكريم الفكون: فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف، تح: بن براهيم السعيد ، الجزائر، 2004، رسالة دكتوراه، ص452.

[60]-الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1955م، ج3، ص899.

[61]- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص437.

[62]-الخليل: العين، ج1، ص49 و ص50.

[63]-المصدر نفسه، ج1، ص 255.

[64]- سيبويه: الكتاب، ج4، ص104و105.

[65]- المصدر نفسه، ج4، ص469.

[66]- المبرد: المقتضب، ج1، ص 208.

[67]- المبرد: المقتضب، ج1، ص333.

[68]-أبو علي الفارسي: التكملة، تح: حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص614.

[69]-ابن جني: الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج2، 1952، ص139.

[70]- ابن جني: المنطق، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1954م، ج2، ص223.

[71]- ابن جني: الخصائص، ج2، ص230.

[72]- أحمد الميداني: نزهة الطرف في علم الصرف، ص51.

[73]- أبو حيان الأندلسي: إرتشاف الضرب من لسان العرب، تح: مصطفى النماس، القاهرة، ط1، 1984م، ج1، ص337.

[74]- سيبويه: الكتاب، ج4، ص437.

[75]- الأخفش: معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1900م، ج2، ص570.

[76]- ينظر: سيبويه: الكتاب، ج4، ص445.

[77]-ينظر: ابن جني: الخصائص، ج2، ص139وص140.

[78]-ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص140.

[79]-ينظر : ابن جني : الخصائص، ج1، ص320.

[80]- ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص140.

[81]- المصدر نفسه، ج2، ص 140.

[82]- ينظر: عبد الله بوخلخال: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000 م، ص10.

[83]- ينظر: المرجع نفسه، ص25.

[84]- سيبويه: الكتاب، ج4، ص 443.

[85]- المصدر نفسه، ج4، ص 445وص446.

[86]- ينظر: مُحَمَّد رشاد الحمزاوي: مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، سلسلة اللسانيات (4)، تونس، ديسمبر، 1978م، ص262.

[87]-Malmbre (bertril) :la phonetique française, malmo, suédecambridgeuniversity press,1973,p69.

[88]- الطيب بكوش، النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، العدد 11، 1974، ص 151

[89]- عبد الله بوخلخال : ظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب، ص45.

[90]- عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء الخانجي، القاهرة، ط1، 1408هـ-1987م، ص 244.